الحجة
على من زاد على ابن حجة

تأليف

الحاج عثمان بك الحيائي الجليلي الموصلي
المتوفي سنة ١٢٤٥ هـ

« طبعه على نفقته واعتنى بتصحيحه »

الدكتور محمد صديق الجليلي

١٣٥٦ — ١٩٣٧

موصل

طبع في مطبعة ام الربيعين * الموصل

مقدمة

بقلم ناشر الكتاب الدكتور محمد صديق الجليلي
بن اسماعيل بك بن محمد صديق بك بن محمد
سعيد بك بن المؤلف .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين .

اما بعد. فهذا كتاب الحجة على من زاد على ابن حجه فى علم البديع تأليف العالم الجليل والفاضل النبيل جدنا المرحوم الحاج عثمان بك الحيائي الجليلي وقد طبعناه على نسخة خطية وجدناها في مكتبة الاستاذ الدكتور داؤد بك الجلبي ولم نعثر على غيرها فى مكتبات الموصل الاخرى وبعد ان اطلعنا عليه وقرأناه وجدناه على صغر حجمه كتاباً ثميناً لا يخلو من الفوائد الكثيرة وعلى الخصوص ما ورد فيه من البدائع الشعرية لمشاهير شعراء الموصل والمقارنة بينهم ونبذٍ من تراجمهم الى اخره وهذا مما شجعنا على طبعه ونشره وذلك بعد ان سمح لنا صاحب

النسخ الأصلية الدكتور المشار اليه بذلك فله منا جزيل الشكر . ولاتمام الفائدة رأينا ان نقدم هنا للقرآء ترجمة موجزة لمؤلف هذا الكتاب مع نماذج من شعره فنقول :

هو العلامة الحاج عثمان بك الحيائي الجلبي الموصلي ابن الوزير سليمان باشا بن الوزير الغازي محمد امين باشا بن الوزير الكبير الحاج حسين باشا بن اسماعيل باشا بن عبد الجليل . ولد في الموصل سنة ١١٧٨ هجرية ونشأ على حب العلوم والآداب وتحصيلها فدرس على أشهر معاصريه من علماء الموصل الاعلام واخذ عن مشاهير ادبائها كالشيخ عثمان ابن بكتاش وغيره من افاضل الادباء فنبغ نبوغاً عظيما في الفقه وعلم الكلام والمنطق وسائر العلوم العقلية والنقلية وتظلع في آداب اللغة العربية والتركية والفارسية ونظم الشعر في جميعها ودرس علم التجويد على شيخ القرآء الشيخ محمد امين بن الشيخ سعد الدين بن احمد بن الشيخ مصطفى البصيري الموصلي وقد اجازه الشيخ المذكور في علم القرآت سنة ١٢٠٢ هـ

وقد ترجم الحاج عثمان بك المؤلف الشهير الشيخ محمد امين العمري بن خير الله الخطيب في كتابه ﴿ منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من ذكر سادات الموصل الحدباء ﴾ فقال ولم يبلغ الامير عثمان بك الجليلي الخامسة والعشرين من عمره إلا وكان له الشيء الكثير من الشعر في اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية الي آخر ما قال .

اننا مع الأسف لم نعثر على ديوان كامل للمرحوم الحاج عثمان بك اكننا

بعد البحث الطويل المتعب في مكتبات الموصل القديمة تمكنا من جمع مقدار لا بأس به من شعره وقد جمعناه من عدة مخطوطات ومجموعات ادبية وحررنا ما جمعناه في كتاب مستقل بلغت عدد صفحاته المائة والستين صحيفة كلها من بدائع الشعر وسميناه ديوان الحيائي اذ كان رحمه الله يلقب نفسه بالحيائي وقد فاتنا بالطبع شيء كثير لم نتوصل الي جمعه بعد . فمن شعره تخميس القصيدة الهمزية الشهيرة للبوصيري في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام وهي طويلة جداً اذ يبلغ عدد ابياتها (٤٥٥) بيتاً وقد اتم تخميسها رحمه الله سنة ١٢٢٦ هـ ومطلعه :

بابن عمران شرفت سيناء
وبادريس والمسيح السماء
والك العرش موطن ووطاء
كيف ترقي رقيك الانبياء يا سماء ما طاولتها سماء

وله رحمه الله مؤرخاً تولى اخيه الاكبر نعمان باشا الحكم في الموصل سنة ١٢٢٢ هـ . فقال :

اشرق نور المجد في وقده فلم تكن نبك على فقده
والحمد لله الذي ارجع الـ ـ حائم في المرعى الي ورده
والعين قرت بعد تقريحها والسيف قد عاد الي غمده
فما بكى طفل على امه إلا ونام الطفل في مهده
وكان دهر فمضى وانقضى في حره الحال وفي برده

والآن قد نارت شموس الهدى ... وازهر الكوكب في وقده

نجم الفتى نعمان رب العلى ... والوارث السطوة من جده

وابن سليمان الذي فضله ... قد عجز المادح عن عده

اتاه مولاه متمام العلى ... فتمام يبدي الشكر في حمده

وبان فينا انه الجوهر الـ ... فرد الذي لم نحظ في نقده

وهكذا الحكمة فيه اقتضت ... والشيء قد يعرف في ضده

يا بن سليمان الوزير الذي ... اينعت الموصل في عهده

وابن سليمان الوزير الذي ... كانت كبار الناس من جنده

وابن سليمان الوزير الذي ... حاز كمال المجد في جده

ساويت آبائك في سيرةٍ ... كالسيف اذ جاد بافرنده

والناس راضون ومولاهم ... راضٍ وهذ كان من وعده

وان يكن معترضاً حاسد ... فليمت الحاسد فى جلده

وحكمة الله بهذا جرت ... ان رضى الله على عبده

فاهنأ بما آتاك مولاك من ... نعمته العظمى ومن سعده

وكلنا نرتع فى روضك الـ ... زاهر بل نقطف من ورده

هذا وقد فاضت قريحاتنا ... وكلمن يقدح فى زنده

فمن ذكي نظمه لائق ... ومن زكى قال من عنده

ذو سعةٍ ينفق من وسعه ... وغيره ينفق من كده

ولست ممن يدعى بالذكا ... او جعل الاشعار من ورده
لكنها عاداتنا قد جرت ... ويحفظ المرء اخا وده
وقد أتى الحكم الذي حق ان ... ينبيء له التاريخ في مجده
ملك سليمان وكرسيه ... عاد الي نعمان من بعده

وله رحمه الله القصيدة البديعة الآتية التى ارسلها الي صديقه العلامة عبد الله افندي الراوي من كبار علماء بغداد فى ذلك العصر وكان بينهما مراسلات ومكاتبات وهي :-

على خطه من عقرب الصدغ قد صحا ... فعشقي له دون البرية قد صحا
تجلى بانوار الجبين مشعشعاً ... فاوحى الي هذا المعذب ما اوحى
انزه فيه ناظري متأملاً ... وبلبل قلبي فيه قد اكثر الصدحا
والثم ورد الوجنتين فيغلب الـ ... حياء فيبدي ماء وجنته النضحا
اذا كان عيدي سهرتى ليل وصله ... فما لي اراه حيثما زرته ضحا
به الميت يحيي عيسوي منزر ... على خده ما مر موسى وما لحا
فمذ قام للانجيل بالدير تالياً ... بدت نغمات الديك فى ديره بحا
فيا خاله قم فوق كرسي خده ... مليكا وقل للصدغ ان يدخل الصرحا

ويا قده مل كلما هبت الصبا ... ويا شفتاه علـــا الجنبد الفتحا

ويا مهجتي ذوبي بطيف خياله ... ويا مقلتي من كحلكي اتخذي القرحا

لقد لام احبابي بعذلي عن الهوى ... اما يعرفون العشق لا يقبل النصحا

تأملت ما خـــط العذار بخده ... فمن متنه كم في فؤادي ارى شرحا

ايعقوب دمعي بعد يوسف حسنه ... تشعب فاني من خليلي ارى الذبحا

مررت به بين الرياض وانني ... به مغرم جان اتى يطلب الصلحا

فاوتر قوسي حاجبيـــه لمقلتي ... وارسل سهم اللحظ مستطلب الجرحا

سهام بمقلبي اثرت حين فوقت ... كتأثير اشواقي الي العالم الانحا

ابو الفضل عبد الله راوي فضائلا ... وحاوي علوماً زندها اظهر القدحا

صديق على بعد حبيب بمهجتي ... قريب له حب من القلب لايمحا

عليه سلام سالم من تكدرٍ ... لدار سلام نوره يخجل الصبحا

فيا ايها البحر الذي عم فضله ... عطاش فنون العلم مذ اكثر الطفحا

لفضلك طاووسية قد تكللت ... بدرٍ وقد ضاءت ولألأت الجنحا

فلا زال روض العلم منك معطراً ... ليهدي لنا من طيب ارجائه النفحا

وقد اجابه العلامة عبد الله افندى الراوى بالقصيدة النفيسة الآتية :-

حديث غرامي مسند المتن قد صحا ... وراويه في التعديل لا يقبل الجرحا

الم تر دمعي مرسلاً ومسلسلاً ... ومتن حديثي لن تحيط به شرحا

وجفني وان كان الضعيف من البكا ... ولكنه المقبول مع ضعفه اضحى

وقلبي معلول بمنقطع الرجا ... وجفني عليه تابع القطر والرشحا

وتفسير كشاف الهوى هيج الجوى ... فارسل ذاك الكشف في مهجتي رمحا

وقد حكم القاضي لتفسير عاني ... فقال محب يبتغي الوصل والصلحا

بحكمتكم علتم القلب اذ غدت ... هداية قلبي منكم تظهر النفحا

بجوهر فرد الحسن صغتم دوائرا ... بمركزها صرتم وقلبي غدا سطحا

عروض غرامي كامل الشوق وافر ... طويل له ليلي لقد عدم الصبحا

ودمعي مديد فيكم متدارك ... لماذا طويتم دون تسكينه كشحا

نحرتم بجزم رفع حالي فليتكم ... اضعتم لمن من وصفكم يبتغي لمحا

لكم صلة الافعال هلا ربطتم ... ضميري ليلقى من عواملكم نجحا

تنازع جفني للسهاد مع الأسى ... فذا يبتغي ضمماً وذا يبتغي فتحا

فلو لم يسكن مقلتي برسالةٍ ... ولي الهدى عثمان لانكسرت قرحا

معاني بيان المجد منها ترشحت ... ومنها استعار الوصف من خيل المدحا

بديع نظام طابقت حسن مطلع ... فاطرت باغراق وقد فاقت الصبحا

بتمثيل ترصيع بايجاز مطنب ... بحسن اقتباسٍ بانسجام حوى نفحا

بمنطقه شكل من الفضل قد حوى ... ضروباً وانواعاً وعن عكس ذا نحى

قضايا علاه بالنتائج اصبحت ... موجهة بالانتشار فلا تمحى

بتجويده قد اظهر الفضل مطبقاً وفخم امر الله جزماً كما اوحى
وللمجد اضحى عامراً وابن عامرٍ طويل كساء رافعاً يانعاً دوحا
فقيه بمنهاج الهداية عمدة عزيز له التحرير والنظم قد اضحى
ووالده كنز المساكين تحفة وقاية من يرجو السماحة والصفحا
نهاية بحر الجود من ام داره اقام اميناً لا يجوع ولا يضحى
واعمامه اهل الدراية كلهم بمنهجهم فيض من الجود قد سحا
اصول معال عم نص جليها تحكمها لا يقبل النسخ والقدحا
مكارمهم جمع الجوامع قد غدت بتوضيح تنقيح الخصوص لهم تنحا
فلا برح المفهوم يقضي بعزهم وتعضده الفحوى بمنطوقها شرحا

حج رحمه الله سنة ١٢٢٧ واجتمع بكثير من العلماء والادباء في البلدان التي مر بها في طريقه الى الحجاز وكان له كثير من المراسلات والمكاتبات مع الذين تعرف بهم ولا يساعدنا المجال هنا من نشر شيء من تلك الكتب التي تعد من بدائع فن الادب. ومن آثاره رحمه الله «المدرسة العثمانية» التي انشأها داخل جامع رابعة خاتون بنت اسماعيل باشا الجليلي (جامع الرابعية) لتدريس علوم المادة والتجويد واوقف لها املاكاً وكتباً كثيرة، واشهر من درس في هذه المدرسة في السنين الاخيرة الشيخ عبد الله افندي الفيضي الموصلي ويدرس فيها

الآن الاستاذ صالح افندي ابن اسماعيل الجوادي والشيخ طاهر افندي البريفكاني .

كان المرحوم الحاج عثمان بك علماً من اعلام الحدباء وقطباً من اقطاب الادب فيها على جانب عظيم من الفضل وعلو الهمة وصاحب خيرات ومبرات وكان رحمه الله من المتقدمين بين امرآء العائلة الجليلية وصاحب الكلمة المسموعة فيهم ومع ما كان عليه من هذا الفضل وعلو المنزلة فقد اعتزل امور السياسة وزهد في مناصب الحكم الذي كان منحصراً في هذه العائلة ومتسلسلا بين افرادها فبعد وفاة عمه الوزير محمد باشا واخيه الاكبر نعمان باشا تولى حكم الموصل بعدهما كثير من امرآء هذه العائلة منهم اخوه الاصغر الوزير احمد باشا وابن اخيه الوزير يحي باشا بن نعمان باشا وابن صاحب الترجمة نفسه محمد امين باشا ولم يرغب هو رحمه الله في تولي الحكومة وانصرف الى التوغل في العلوم والتفقه في الدين .

واما وفاته فكانت حادثة يأسف لها تاريخ الموصل اذ قتل رحمه الله على اثر فتنة حدثت في الموصل سنة ١٢٤٥ قام بها جماعة من اشرار الينكجرية فدخلوا عليه في داره واغتالوه وهو جالس يتوضأ رحمه الله فتوفي على الاثر وشيع جثمانه بموكب مهيب ودفن في مدفن جامع جده الحاج حسين باشا ﴿ جامع الباشا ﴾ رحمه الله رحمة واسعة . وقتل في نفس الحادثة كل من محمد بك وسالم بك ولدي الحاج عبد الباقي باشا بن عبيد اغا الجليلي وقتل كذلك عثمان افندي العمري ابن نعمان بن عثمان الدفتري العمري اما المجرمون فقد نالوا عقابهم بعد ذلك وذاقوا جزآء ما ارتكبته

ايديهم ولا يساعدنا المجال هنا لذكر اسباب هذه الفتنة العمياء والحادثة المؤسفة بتفاصيلها وسنذكر ذلك بالتفصيل انشاء الله تعالى في كتابنا تاريخ العائلة الجليلية الذي شرعنا بتأليفه متوكلين على الله . هذا قليل من كثير من ترجمة المرحوم الحاج عثمان بك والحمد لله اولا وآخراً وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

الموصل ١٤ ربيع الاول ١٣٥٦ هـ .

٢٥ مايس ١٩٣٧ م .

محمد صديق الجليلي

« دكتور في الفلسفة »